البعث عند الفلاسفة الإسلاميين

د. محمد حسن خليل أبو حطب

قال ابن سينا فى كتابه النجاة :

« يجب أن تعلم أن المعاد(١) منه مقبول من الشرع ، ولا سبيل إلى إثباته

---

(١) (والمعاد : المصير والمرجع ، والآخرة معاد الخلق ... والمعاد كل شيء إليه المصير ... وقوله تعالى: إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد . . يعنى إلى مكة عدة للنبى ﷺ أن يفتحها له ، وقال الفراء : إلى معاد حيث ولدت ، وقال ثعلب : معناه يردك إلى وطنك وبلدك ... وقال الحسن: معاد، الآخرة ، وقال مجاهد : يحييه يوم البعث . وقال ابن عباس : إلى معدنك من الجنة .

وأكثر التفسير فى قوله تعالى : لرادك إلى معاد ، لباعثك وعلى هذا كلام الناس ، أذكر المعاد ، أى أذكر مبعثك فى الآخرة قاله الزجاج ... وفى الحديث : وأصلح آخرتى التى فيها معادى ، أى مايعود إليه يوم القيامة، وهو إما مصدر وإما ظرف ، وفى حديث على : والحكم لله والمعود إليه يوم القيامة أى المعاد ، قال ابن الأثير : هكذا جاء المعود على الأصل وهو مفعل من عاد يعود ، ومن حق أمثاله أن تقلب واوه ألفا كالمقام والمراح، ولكن استعمله على الأصل) .

لسان العرب . ابن منظور جـ ٣٥ ص ٣١٥٨ دار المعارف

(المعاد : مصدر ميمى أو اسم مكان ، وحقيقته : العود لوجه الشيء =

إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا المصطفى محمد ﷺ حال السعادة والشقاوة التى بحسب البدن ، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى، وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالمقاييس اللتان للأنفس ، وإن كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن .

والحكماء الالهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك ، وإن أعطوها فلا يستعظمونها فى جنب هذه السعادة التى هى مقاربة الحق الأول)(١) .

هذا النص خاص بالبعث بشقيه الجسمانى والروحانى ، نقلناه عن ابن سينا من كتابه النجاة ، وقد اخترنا ابن سينا كممثل للفلاسفة الاسلاميين، لأنه عمدتهم والمبرز فيهم ، وليس معنى ذلك أننا سنقصر كلامنا فى هذا

= إلى ما كان عليه ، والمراد هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء ، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق ، أو إلى الحياة بعد الموت ، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة ، وأما المعاد الروحانى المحض على ما يراه الفلاسفة فمعناه رجوع الأرواح إلى ما كانت عليه من التجرد عن علاقة البدن ، واستعمال الآلات . أو التبرؤ عما ابتليت به من الظلمات الهيولانية) .

حاشية الكلنبوى على شرح العقائد العضدية للجلال الدوانى جـ٢ ص ٢٤ در سعادت ١٣١٦ هـ

(١) النجاة . ابن سينا ص ٢٩١ ط ٣ شركة مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

الموضوع عليه فقط ، بل إننا سنتكلم عنه وعن زملائه الآخرين من خلال عرض ودراسة موضوع البعث من وجهة نظرهم .

وقبل أن نخوض في شرح آراء الفلاسفة الإسلاميين في أمر البعث - المعاد - فإننا سنمر سريعا على آراء العلماء في هذا الموضوع .

العلماء والبعث :

اختلف الناس في أمر البعث بين مؤمن(١) به ومنكر له ، فأصحاب الديانات أطبقوا على الإيمان به ، واحتجوا بالعقل والسمع على إمكان وقوعه(٢) ، وإن كان ابن حزم يقول : أن السامرية - وهي فرقة من اليهود - لا تؤمن بالبعث(٣) وبجانب أهل الديانات هناك الكثير من العلماء ممن لا ينتمون إلى ديانة سماوية يقرون بالبعث ويؤمنون به ويقيمون أدلتهم على إمكانه ووقوعه .

ويقابل هذا الفريق المؤمن بالبعث ، فريق آخر ينكره ، ولا يعترف به بل ويقيم الأدلة من وجهة نظره على استحالته سواء كان البعث روحيا فقط أو جسمانيا فقط أو هما معا .

يقول جمال الدين الأفغاني (ذهبوا - أي الطبيعيين أو الماديين

---

(١) قد وقع الاختلاف بين المؤمنين بالبعث ، هل هو روحي فقط ؟ أو جسماني فقط أو هما معاً ؟

(٢) أنظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي ص٤٢٤ جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ،مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان .

(٣) أنظر الفصل في الملل والنحل ابن حزم ج١ ص ٨٢ مكتبة السلام العالمية .

أو الدهريين — إلى أنه لا حياة للإنسان بعد هذه الحياة وأنه — أى الإنسان — لا يختلف عن النباتات الأرضية ، تنبت فى الربيع مثلا ، وتيبس فى الصيف ، ثم تعود ترابا ، والسعيد من يستوفى فى هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية)(١) .

هذا الفريق يعرف فى مجال الفكر الإنسانى باسم الدهريين أو الماديين وهؤلاء لا يقيمون للمجردات وزناً ما ، أياً كانت قيمة هـذا الوزن ، لأنهم لا يعترفون بها ، وذلك لأنهم لا يؤمنون الا بالمادة المحسوسة فقط لا غير .

هؤلاء الماديون أو الدهريون لا يرون فى الإنسان(٢) إلا أنه شىء مادى لا علاقة له بأى شىء روحى ، وهم بذلك ينكرون أن تكون فى الإنسان نفس طبيعتها تغاير طبيعة المادة المحسوسة ، وعلى ذلك فإن الموت عندهم هو : عدم محض ، ومعنى أنه عدم محض ، هو الحكم بعدم وجود حياة أخرى بعد هذا العدم المحض ، أى لا بعث بعد الموت ، وإنما العجب

---

(١) الرد على الدهريين — جمال الدين الأفغانى ص ٩٤ ، دار الفكر نك وأنظر آراء الدهريين فى كتاب التوحيد للإمام أبى منصور الماتريدى تحقيق وتقديم الدكتور فتح الله خليف ص ١٤١ وما بعدها دار الجامعات المصرية .

وأنظر أيضاً آراؤهم فى الفصل . . . ص١٥/١٦ ج ١ .

(٢) خص الإنسان بالكلام لأنه هو المقصود بالبحث ، وإلا فإن مذهب هؤلاء الماديين عام وشامل لكل موجود ، فلا موجود عندهم إلا وهو مادى صرف .

من يتصور مجرد تصور إمكان إيمان هؤلاء بالبعث ، كيف يقع منهم ذلك انهم يعتقدون أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس بماله من مزاج وقوى وأعراض ، وهذه الأمور كلها تفنى بالموت وزوال الحياة ، وقد عبر عن رأى هذا الفريق المنكر قدماء الدهريين بقولهم : ما هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع .

ونحن نرى أن تعبيرهم هذا أمر منطقى متفق مع معتقداتهم الذاهبة إلى أن الإنسان مادى بحت ، لا مجال فيه ولا مكان للمجردات ولا يقال ان الإنسان لا يكون إنسانا إلا بفكر وشعور وعواطف ونفس وروح وعقل ، لأنهم ذاهبون إلى أن هذه الأمور وغيرها مما يطلق عليها مجردات ما هى فى حقيقة أمرها إلا نتيجة من نتائج المادة ومظهرا من مظاهرها ، إذن الإنسان فى نظرهم مادة فقط لا غير .

يقول الدكتور رشدى عزيز : (إن الماديين يذهبون إلى أن الإنسان هو ذلك الهيكل المحسوس بماله من المزاج والقوى والاعراض ، وأنه بزوال الحياة يفنى ولا يبقى منه إلا المواد العنصرية — كما هو مذهب القدماء منهم — أو أن الإنسان بكل مكوناته مادى مكتسب من الطبيعة ، وليس فيه من المواد ولا من القوى ماله صلة بعالم الروح — كما هو مذهب المحدثين)(١) .

إن الدهريين أو الطبيعيين وإن كان يجمع بينهم إنكارهم للبعث إلا أننا نلاحظ أن منهم مع إنكاره البعث لا يعترف ولا يقر بوجود إله

---

(١) موقف الإسلام من الفلسفة فى عقيدة البعث ومصير الإنسان ، دكتور رشدى عزيز ص ١٥ — مطبعة حسان ، ط ١

لهذا الكون ، أى أنه لا يعترف بالالوهية ، ولا يؤمن بها كما لا يؤمن بالأديان والرسل ، لأنه قد آمن فقط بالمحسوس ، وأن ما لا يناله الحس فرض وجوده محال ، وعلى ذلك فإن العالم فى نظرهم أزلى لا بداية له . أبدى لا نهاية له (وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان كذلك كان ، و كذلك يكون أبداً)(١) .

وهؤلاء يسميهم الإمام الغزالى زنادقة ، ويقول القرآن الكريم أن هؤلاء هم القائلون (نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)(٢) :

ومن هؤلاء الطبيعيين من يؤمن بالالوهية ، أى يؤمن بوجود إله ، إلا أنه — كما سبق — يشترك مع بقية الطبيعيين فى إنكاره للبعث ، لأنه يرى أن الطبيعة الإنسانية ما هى إلا طبيعة مادية وقد اشتهر هذا الفريق باسم الطبيعيين وذلك نظراً إلى أن بحوثهم فى عالم الطبيعة والحيوان والنبات ، هذه البحوث وإن كانت قد قادتهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، إلا أنهم قد انتهو إلى (أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه ، فتنعدم — أى تبعا لإنعدام المزاج — ثم إذا إنعدمت فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا ، فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار ، والحشر والقيامة والحساب

---

(١) التصوف الإسلامى شخصيات ونصوص (المنقذ من الضلال للغزالى) دكتور عبد الحليم محمود ص٩٤ ، دار الشرق العربى للطباعة .

(٢) سورة الجاثية جزء من الآية ٢٤

فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقـاب ، فانحل عنهم اللجام ، وانهمكوا فى الشهوات إنهماك الأنعام)(١) .

هؤلاء المنكرون للبعث — سواء أطلق عليهم المصريون أو الطبيعيون أو الزنادقة — جذورهم ممتدة على طول التاريخ .

فهاهم المصريون القدامى يؤمنون بالبعث ، ويقدسون تلك العقيدة فى نفوسهم ، إلا أننا مع ذلك نجد أن منهم من أنكر تلك العقيدة المقدسة عندهم ، وأثبت ذلك فى كتاب (محـاورة بين جسم وروح) وفى تلك المحاورة يحاول الجسم إقناع الروح بأنه لابعث بعد الموت ، وأنها ستفارقه بعد عناء ، هذا العناء الذى لا حكمة له ولا نتيجة ، لكن النفس لا تسلم له بذلك وتقول له أنك مخطىء فهناك إله سيحاسبك على ما فعلته فى دنياك هذه ولذلك يجب عليك أن تستمر أيها الجسم فى المجاهدة حتى يرضى عنك الإله ويمنحك متعة الحيـاة الآخرة ، وهنا يتوجه الجسم إلى النفس قائلا : ومن الذى ذهب إلى تلك الدار ثم عاد فأنبأنا بما فيها ؟(٢) .

هذا الكتاب يدلنا على أن صاحبه ينكر البعث ، ولنا أن نستنتج من ذلك أنه وجد فى مصر القديمة تيار الحادى لايعترف بالبعث وان كان هذا التيار لا نقل له أى أنه كان محدوداً للغـاية ، لأن الثابت عن المصريين القدامى إيمانهم الشديد بالبعث والعمل والإستعداد له فى دنياهم هذه .

وفى الهند القديمة نجد أيضاً تياراً منكراً للبعث ، ونحن لا نتعجب ولا نعجب من وجود مثل هذا التيار فى الهند ، لأن الهند القديمة لم يعرف

---

(١) التصوف الإسلامى .. ص ٢٤٥

(٢) أنظر الفلسفة الشرقية ، دكتور محمد غلاب ص ٦٨ ، مكتبة النهضة المصريه أنظر موقف الإسلام من الفلسفة ص ٣٤

عنها أنها امنت بالبعث إيمان المصريين القدامى به ، يقول الدكتور : محمد غلاب : (لقد كان فى الهند قديماً مدرسة تعارض الديانة البرهمية،وأصحاب هذه المدرسة كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (لوكيانا) ومعناه الماديون، وكان معتقد هؤلاء أنه ليس هناك قانون أخلاق أو دينى ، وأنه لا طاعة إلا اللذة ، وأنه لا وجود حق إلا المادة ، وأن كثافة هذه المادة أصدق مما يدعى بلطافة النفس ومن أجل ذلك ذهبوا إلى أن الجسم بعد الموت يتحلل إلى عناصر مختلفة وعلى ذلك فلا بعث للإنسان)(١).

ونجد نفس هذا الإتجاه فى الأمة الفارسية فها هو مزدك يدعو للإباحية والفوضى ونبذ العادات والتقاليد القديمة ويقول (جميع القوانين والحدود والآداب التى وضعت بين الناس قاضية بالجور مقررة للظلم، وكلها مبنى على الباطل ، وأن الشريعة الدهرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن ، وقد بقيت مصونة فى حرزها عند الحيوانات والبهائم)(٢) .

أما اليونانيون فإننا نجد عندهم من يسير فى نفس هذا الإتجاه ،ويسوى بين الإنسان والحيوان ، ولا يجد فرقاً بينهما ، فإذا كان الحيوان لا بعث له بعد موته فلماذا يكون للإنسان بعث وحياة أخرى بعد موته ، مع أنه هو والحيوان كلاهما مادى يفنى بالموت،يقول الشهرستانى عن أبيقور اليونانى أنه يرى أن : (الكل يفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة ولا جزاء ، بل كلها تضمحل وتندثر ، والإنسان كالحيوان مرسل مهمل فى هذا العالم)(٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢ ، وأنظر موقف الإسلام ص ٣٤

(٢) الرد على الدهريين .. ص ٧٧ وأنظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى ، الدكتور محمد البهى ص ٦٨ — ٧٣ ط ٩ مكتبة وهبـــة .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى تحقيق دكتور محمد فتح الله بدران ق ٢ ص ١١١ مكتبة الأنجلو المصرية .

ان أبيقور هذا يسخر من الإنسان الذى يعتقد أن هناك بعثا وحياة أخرى ، بل أنه يصف هذا الإنسان بالجنون ، ويرى أن مثل هذا الإنسان قد كلف نفسه مالا يطيق وأرهق نفسه بتكاليف كثيرة وهو فى ذلك مخالف لقانون ونظام الطبيعة القاضى بأن الإنسان مثله مثل الحيوان فى استمتاعه بالطبيعة دون قيد أو شرط ، أى بدون تكاليف ، وليس هناك فى قانون الطبيعة فرق بين رغبة حيوانية وأخرى إنسانية ، فالكل له رغبة يجب تحقيقها طبقاً لقانون ونظام الطبيعة ، ولذلك فهو يطالب الإنسان بأن يرمى هذه التكاليف التى كبل بها نفسه وراء ظهره ، لكى يستمتع بالطبيعة خير استمتاع (ما بال هذا الإنسان قاده الحرص ، بل الجنون والخرق إلى اعتقاد أن له عوالم نورانية ، ومعاهد قدسية ، وحياة أبدية ، ينقل إليها بعد الرحلة من هذه الدنيا، ويتمتع فيها بسعادة لايشوبها شقاء ، ولذة لا يخالطها كدر، ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف ، مخالفاً نظام الطبيعة العادل ، وسد فى وجه رغبته أبواب اللذائذ الطبيعية ، وحرم نفسه كثيراً من الحظوظ الفطرية . . . من الجهل أن يغتر — الإنسان — بهــذه الحياة التى لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات ، بل جميع النباتات وليس وراءها حياة أخرى فى عالم آخر ، بل أجدر به أن يلقى ثقل التكاليف عن عاتقه ، ويقضى حق الطبيعة البدنية من حظ اللذة ، ومتى سنح له عارض رغبة حيوانية وجب عليه تناوله من أى وجوهه)(١) .

ويوجد بجانب ايبقور الفيلسوف أنباذ وقليس الذاهب إلى أن العالم هكذا وجد ، بلا احتياج إلى إله أو إنسان ، أى أنه لا يوجد إله، ومادام لا يوجد إله فلا مجال لأن نقر ونعترف ببعث وحياة أخرى بعد الموت ، يقول سنتلانا : أن أرسطو : (يقول : فى كتاب السماء والعالم حاكيا عن

---

(١) الرد على الدهريين ص ٧٣ — ٧٤

أنباذ وقليس : إن هذا العالم لم يحدثه أحد من الآلهة ولا من البشر بل كان أبداً . أ . هـ .

ثم قال أرسطو فى المقدمة الثالثة من كتاب السماء مانصه: أما من ذهب إلى قول أنباذ وقليس وديمقريطس ، فإنه قال : ان الأركان لم تحدث باستحالة بعضها فى بعض ، بل لا حدوث إلا فى الظاهر ، فإنها موجودة على حدتها ، تتفرق بعد الاجتماع . أ هـ .

ثم قال فى كتاب الفساد والتكوين فى المقالة الأولى :

وعندهم :أن الأركان إذا اجتمعت فقد تحدث الأجسام وإذا افترقت فسدت الأجسام .

وعندهم أيضا أن الوجود لا يصير إلى العدم(١) اهـ

ويرى الاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود ان اغلب العلماء والفلاسفة مؤلهون ، أى مؤمنون بوجود الإله ، ويعتبر الإلحاد شذوذاً عند العلماء والفلاسفة،ومع أنه شذوذ إلا أنه موجود وله ممثلون باستمرار، ويذهب إلى أن ديمقريطس الفيلسوف اليونانى هو أول من حاول إقامة مذهب متكامل للالحاد ، وكانت فكرة هذا المذهب طبقاً لما يقوله الدكتور عبد الحليم محمود هى : (أن المادة قديمة وهى مركبة من أجزاء لا تتجزأ ،وهذه الأجزاء أو الذرات دائمة التحرك فى الفضاء اللانهائى،ومن اجتماعها تتكون الأجسام وبافتراقها تفنى،وهكذا استمر الأمر من الأزل وسيبق إلى الأبد بدون غاية ولا هدف ، انها الآلية البحتة ، وهذه الفكرة وان كانت

(١) ستتلانا . للمذاهب الفلسفية . نقلا عن كتاب التصوف الإسلامى شخصيات ونصوص ٢٣٩/٢٤٠

قديمة ، وإنها فكرة كل من يتخذ الإلحـــاد مذهباً فى العصور الحديثة وإن اختلفت كيفيات التعبير عنها .

انها فكرة الماديين المحدثين كما كانت فكرة الماديين القدماء ولم يغير من جوهرها تحطيم الذرة أو تفتيتها ، اللهم فى كيفية التعبير عنها(١) .

وهذا التيار الإلحادى المنكر للبعث له ممثلون فى الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ويلخص لنا الشهرستانى وجهة نظرهم وشبههم فى ذلك فيقول : (. . . فمن معطل بطال لا يرد عليه فكره براد ، ولا يهديه عقله ونظره إلى اعتقاد ولا يرشده فكره وذهنه إلى معاد ، قد ألف المحسوس وركن إليه ، وظن أنه لا عالم سوى ماهو فيه من مطعم شهى ، ومنظر بهى ولا عالم وراء هذا المحسوس ، وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون ، لا يثبتون معقولا)(٢) .

ثم يقول فى موضع آخر : (واعلم أن العرب أصناف شتى فمنهم معطلة ، ومنهم محصلة نوع تحصيل ، وهم أصناف ، فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا : (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)(٣) . اشارة إلى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى ، وقصراً للحياة والموت على تركبها وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر (وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون)(٤) ...

---

(١) التصوف الإسلامى شخصيات ونصوص . . . ص ٢٤٠/٢٤١

(٢) الملل والنحل . . ق ٢ ص ٣

(٣ ، ٤) سورة الجاثية الآية ٢٤

وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وأنكروا البعث والإعادة ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم)(١) . . .

وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين ، احداهما إنكار البعث ، بعث الأجسام ، والثانية جحد البعث ، بعث الرسل ، فعلى الأول قالوا:(أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ، أو آباؤنا الأولون)(٢) إلى أمثالها من الآيات وعبروا عن ذلك فى أشعارهم فقال بعضهم:

حياة ثم موت ثم نشر … حديث خرافة يا أم عمرو

ولبعضهم فى مرثية أهل بيت المشركين :

فماذا بالقليب — قليب بدر — … من الشيزى تكلل بالسنام
يخبرنا الرسول : بأن سنحيا … وكيف حياة أصداء وهام(٣)

ويقول الشاعر أيضاً :

زعموا أنى سأبعث حيـــا … بعد طول المقام فى الأرماس(٤)
وأجوز الجنان أرتع فيها … بين حور وولدة اكياس
أى شىء أصاب عقلك يامسكين … حتى رميته بالوسواس

وهذا التيار الإلحادى لم يمت وينتهى بمجىء الإسلام ، وإن كان قد حوصر فى نطاق ضيق وبيئة محدودة ، هى البيئة الباطنية فى الجماعة الإسلامية هذه الفرقة الباطنية يقول فى حقها الرازى :

---

(١) سورة يس الآية ٧٨

(٢) سورة الصافات الآية ١٦/١٧

(٣) الملل والنحل ق ٢ ص ٢٤٤ — ٢٤٦

(٤) الرمس التراب ، تسمية بالمصدر ، ثم سمى به القبر — المصباح المنير ص ٢٣٨ أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، تحقيق د عبد العظيم الشناوى دار المعارف .

(اعلم أن الفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيف أكثر من الفساد اللازم عليه ، من جميع الكفار ، وهم عدة فرق ، ومقصودهم على الاطلاق إبطال الشريعة بأسرها ونفي الصانع ، ولا يؤمنون بشيء من الملل ، ولا يعترفون بالقيامة)(١) .

ويقول الأفغاني ان الباطنية ترى أنه : (اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق ، ورفعت الأحكام الشرعية ، سواء كانت متعلقة بالأعمال البدنية الظاهرة ، أو الملكات النفسية الباطنة . والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق ، وأنا القائم الحق ، فليعمل عامل ما أراد ، فلا حرج بعد اليوم ، إذ رفعت التكاليف ، وخلصت منها الذمم ، أي أغلقت أبواب الانسانية وفتحت أبواب البهيمية)(٢) .

واستمر هذا التيار الالحادي يسير منذ وجد في القديم حتى وصل إلى ما يسمى بالعصر الحديث ، ومن أبرز من جعل هذا التيار الالحادي مذهبا له ، الشيوعيون اتباع الفيلسوف اليهودي كارل ماركس ، الذي صرح علانية بأن الدين هو أفيون الشعوب ، وأنكر كل مجرد غير محسوس ، أي أنكر الالوهية والبعث وغيرهما(٣) .

وأصحاب مذهب العصر الحديث بتركيا ، الذين قالوا بأن الإنسان ما هو إلا حيوان كبقية الحيوانات الأخرى ، لا يختلف عنها في شيء

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي صـ١١٩ مكتبة الكليات الأزهرية

(٢) الرد ... صـ٨٣

(٣) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم صـ ٤٠١ وما بعدها دار المعارف ، وانظر الفكر الإسلامي صـ٢٧٩/٣١٩ ، وانظر الرد صـ٩٠/٩١

ولذلك فانه من الواجب على الإنسان أن يعيش حيوانا يتمتع بالطبيعة ويشبع رغباته الطبيعية(١) .

كذلك وجد فى فرنسا فولتير وروسو وهما ينهجان نفس هذا المنهج ويدعوان للاباحية ، وجـــددا دعوة ما قبلهما من انكار للبعث والقيم ، واحيا أفـكار ابيقور اليونانى ، وزعما أن الأفكار الدينية خرافات ، والأديان مخترعات بشرية وجاهرا بإنكار الالوهية(٢) ، وبجانب هذين الفيلسوفين يوجد كثير من الفلاسفة اتخذوا هذا التيار الالحادى مذهبا لهم مثل جون فولاند ، ومثل داروين ومثل سارتر وغيرهم وغيرهم(٣) .

ومن تلك المذاهب الالحادية فى العصر الحديث ، مذهب المورمان ، وهو نسبة إلى أمريكى يدعى مورمون ادعى النبوة ، والتفت حوله جماعة ، وقوام هذا المذهب هو الاباحية والالحاد .

تلك جولة سريعة مع التيار المنكر للبعث منذ القدم إلى هـذا العصر ونحن لم نقف معهم ولم نناقشهم لأن هـذا ليس هدفنا هنا ، كما أن مناقشة هذا التيار والرد عليه يحتاج إلى مؤلف مستقل — نرجو الله أن يوفقنا فى المستقبل للقيام به —

وشبهات المنكرين للبعث نجملها فى النصين الآتيين :

يقول المنكرون : (من أين تجمع أجزاء كل فرد تبعثرت وانتشرت هباء منثورا ، ودخلت فى تكوين كثيرين آخرين ، وفى كل جزء من أجزاء العالم ، حتى أن ذرة الكربون التى قامت بتكوين جزء من رئة

---

(١) الرد ص ٨٩

(٢) المرجع السابق ص٨٦ ، وانظر تاريخ الفلسفة ص ١٨٨/ ٢٠٠

(٣) انظر تاريخ الفلسفة .. ص ١٥٥/ ٣٥١/ ٤٥٦ وما بعدها

أبينا آدم ، قامت أيضا بتكوين ملايين الملايين من الرئات ، وغيرها من الأعضاء والأجزاء فى الحيوان والنبات والجماد)(١) .

هذا عن البعث الجسمانى ، أما عن البعث الروحانى فيقولون :

(وإن قيل ان البعث للأنفس لا الاجساد ، والأنفس منفصلة مستقلة بعضها عن بعض قلنا : إن هذه القضية عدا أنه غير متفق عليها خالية من كل اسناد علمى ومنفية بالعلوم الطبيعية عموما ، وبمذهب داروين خصوصا ، فنفس الإنسان كنفس الحيوان عمل من أعمال المادة ، أى : من أعمال الأعصاب والدماغ على حد عمل الهضم فى المعدة والازهار فى النبات ، فالنفس حالة من القوة المتصلة بالمادة . كما أن الدماغ حالة من المادة المتصلة بالقوة ، فالمادة ، متحركة وحركتها ازلية ، والسكون الذى نراه فيها ظاهرى فقط . فهى فى تجاذب دائم بحث احتشامها ، وتنافر كذلك يقطع افلاذها . فالمحبة والنفور ليسا فى قلب الإنسان وحده ، بل فى قلب الجماد أيضا .

وهناك أصلهما وأصل كل حياة ، وما الحياة والموت الا تبدل فى المادة وتغير فى الصورة ليس إلا)(٢) .

والآن وبعد أن مررنا سريعا على الفريق المنكر للبعث ، والذى يقول فى حقهم الشيخ الرئيس ابن سينا : أن عددهم قليل وبصيرتهم ضعيفة ، وهم أنقص من الحيوانات ، فانه قد آن الأوان لنتكلم عن الفريق المؤمن بالبعث ، وهذا الفريق عدده أكثر من أن يحصى ، فهم السواد الأعظم من البشرية ، والأغلبية المطلقة صاحبة البصيرة والمعرفة .

---

(١) فلسفة النشوء والارتقاء شبل شميل ص ٥٠ ، نقلا عن موقف الإسلام ...ص ٣٨

(٢) المرجع السابق ص٣٨/٣٩

هذا الفريق المؤمن بالبعث ، وقع بين أصحابه الخلاف فى حقيقة البعث هل هو جسمانى فقط أو روحانى فقط أو هما معا .

فمن هذا الفريق من قال : بأن البعث جسمانى فقط ، ويمثل هذا الفريق فرقة من أهل الجدل فى العرب ، وهم يرون : أن (البدن وحده هو الحيوان ، وهو الإنسان بحياة والسانية خلقتا فيه وهما عرضان ، والموت هما عدمهما فيه أو ضد لهما .

وفى النشأة الثانية – أى البعث – يخلق فى ذلك البدن حياة وانسانية بعدما رم وتفتت ، ويصير ذلك الإنسان بعينه حيا(١) .

وهذه الفرقة قد افترقت فيما بينها فرقا :

فمنها من قال : ان الإنسان فى الحياة الأخرى أما بر وإما فاجر .

والأول يثاب على ما قدم من خير فى حياته الأولى ، لأنه قد عمل حساب الحياة الأخرى، فعمل على أن يكون انسانا بارا ، أى عاملا للأعمال الفاضلة ، التى يثاب عليها فى أخراه ، وهذا ثوابه مخلد .

أما الفاجر فإنه انسان خلاف الأول ، حيث أنه لم يقـــدم فى دنياه أعمالا حسنة فاضلة صالحة ، فمع إيمانه بالبعث الا أنه لم يعمل حساب هذه الحياة الأخرى ، ولذلك فهو معاقب فى أخراه ، وعقابه مخلد .

ومنهم من قال : إن الإنسان إما مؤمن أو كافر أو مؤمن فاسق .

---

(١) رسالة أضحوية فى أمر المعاد — ابن سينا ص ٣٨ تحقيق الدكتور سليمان دنيا ط ١ دار الفكر العربى .

والأول مخلد فى ثوابه .

والثانى مخلد فى عقابه .

والثالث قيل : انه فى مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء عاقبه ،وإن عاقبه فلا يخلد فى عقابه .

وقيل انه لا محالة معاقب بدون تخليد ، أى أنه ليس داخلا فى نطاق المشيئة ، لأن عقابه واقع لا محالة .

وهناك من قال : أن المعاقب لا يخلد فى عقابه ، أما المثاب فانه مخلد فى ثوابه .

وبعضهم قال : أنه لا خلود لا فى الثواب ولا فى العقاب .

الفرقة الثانية : وهى التى قالت بالبعث الجسمانى والروحانى معا .

وهؤلاء يرون أن الحياة هى فى وجود النفس البدن ، والموت مفارقة هذه النفس البدن ، وفى الحياة الثانية تعود النفس ، أى ترجع إلى نفس البدن الذى كانت فيه فى الدنيا .

وهؤلاء عندهم النفس ليست جسما ، بل هى أمر روحى ، أو هى جسم الطف من سائر الأجسام .

وهم يرون أن الثواب والعقاب روحانى وجسمانى معا .

فالثواب الجسمانى عبارة عن لذات بدنية محسوسة .

والثواب الروحانى : لذات ناشئة عن السرور والغبطة بمشاهدة الملكوت الأعلى بعين البصيرة ، وأيضاً الأمن من العذاب والألم .

والعقاب الجسمانى ، هو : عبارة عن آلام بدنية من برد وحر وعذاب وغيرهما .

والعذاب الروحانى هو : آلام نفسية مثل الخوف ، واليأس ، والخزى وغير ذلك .

والمسلمون فى ذلك على رأيين :

جمهور المتكلمين يرى : أن البعث جسمانى فقط ، بناء على أن الروح عندهم جسم لطيف سار فى البدن سريان النار فى الفحم والماء فى الورد، والبعث يكون للروح والجسم معا ، ولكنهم يسمونه بعثا جسمانيا اعتمادا على أن النفس جسم .

والمحققون منهم مثل الغزالى وغيره بجانب الصوفية والشيعة والكرامية يرون أن البعث روحانى وجسمانى معا بناء على أن النفس عندهم جوهر مجرد وليست جسما .

وأما من قال بأن البعث روحانى فقط ، فهؤلاء أيضا وقع بينهم الاختلاف ، فمن قائل بأن النفس جسم ، ومن قائل بأنها جوهر نورانى من عالم النور ، اختلط بالبدن الذى هو جوهر مظلم من عالم الظلمة ، وهؤلاء كما يقول ابن سينا فى رسالته اضحويه هم المجوس والثنوية والمانوية ، وسعادة النفس عند هذه الجماعة هى خلاصها من عالم الظلمة وخرقة الأفلاك وبالتالى تخرج إلى عالم النـــور ، أما الشقاوة فهى بقاء النفس فى عالم الظلمة .

ومنهم من قال بانتقال النفس إلى الأبدان ، وهم أهل التناسخ ومنهم من قال بأن النفس لابد أن تستكمل جوهرها ، حتى تتخلص من آثار الطبيعة فيها ، وهؤلاء فى رأى ابن سينا هم الحكماء الفاضلون .

والآن وبعد أن استعرضنا آراء العلماء فى البعث بوجه عام ومريح فإننا نصل إلى التعرف على آراء الفلاسفة الإسلاميين فى البعث .

آراء الفلاسفة الإسلاميين في البعث :

ابن سينا في نصه الذي نقلناه عنه في أول هذا البحث ، يعترف بالمعاد بقسميه الجسماني والنفسي ، وهو يرى أن المعاد الجسماني لا يمكن اثباته إلا عن طريق الشرع ، وتصديق خبر النبوة في ذلك (يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ، ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث)(١) ومعنى ذلك أنه لا مجال العقل في إثبات هذا البعث الجسماني ، لأن إثباته وقف على الشرائع السماوية ، وأخبار الأنبياء بذلك ، والأدلة العقلية قاصرة عن إثبات ذلك النوع من البعث .

وهذا البعث الجسماني لابد أن يكون ثوابه حسى ، وعقابه هو الآخر حسى ، والشريعة الإسلامية قد أفاضت واستفاضت في بيان وتوضيح الثواب والعقاب الحسيين

أما المعاد الروحاني وهو الذي للأنفس ، فإن هذا ثابت بالقياس البرهاني ، أي بعمل العقل ، بالإضافة إلى أن الشرائع السماوية قد صدقت العقل في ذلك ، حيث أنها جاءت بالسعادة الروحية للأنفس السعيدة والشقاوة الروحية للأنفس الشقية .

ويعلق ابن سينا على المعاد الروحاني وما يتبعه من سعادة روحية أو شقاوة روحية ، بأن الحكماء ، أي الفلاسفة ، رغبتهم في

---

(١) النجاة . . . ص ٢٩١

اصابة تلك السعادة الروحيه أعظم من رغبتهم فى اصابة السعادة البدنية ، حتى كأنهم لا يعيرون السعادة البدنية أى التفات أو اهتمام ، وهى ، وأن أعطوها لا يقيمون لها وزنا بجانب السعادة الروحية التى يرغبون فيها ، حيث أن السعادة الروحية ماهى إلا مقاربة الحق الأول أى الله .

إن الحكماء من وجهة نظر ابن سينا يكادون لا يعترفون بالسعادة أو الشقاوة البدنية لأن اهتمامهم مركز على السعادة الروحية أو الشقاوة الروحية ، فالأولى بجانب الثانية أمر لا يذكر ، هذا بالاضافة إلى أن الحكماء لا يجدون طريقا لإثبات السعادة و الشقاوة البدنيين إلا عن طريق الشرع حيث أن العقل لا يتمكن من إثبات المعاد الجسمانى .

إن هذا الكلام من ابن سينا ، ألا يؤدى إلى التساؤل هل هم حقا معترفون بالمعاد الجسمانى اعترافهم بالمعاد الروحانى ؟ أم أنهم لا يعترفون بالمعاد الجسمانى إلا مجاراة للجمهور فقط لا غير ؟ وخصوصا أنهم يعتمدون على العقل فى كل أبحاثهم ، فما أدى إليه البرهان آمنوا به ، وما رفضه البرهان أنكروه .

إننا قبل أن نحكم عليهم بهذا أو ذاك ، علينا أن نتعرف على آرائهم وأفكارهم من خلال مؤلفاتهم لنصل فى النهاية إلى القول الذى اعتمدوه وعولوا عليه وبنوا عليه آراءهم .

إن الكندى وهو فيلسوف العرب يرى أن النفس جوهر من جوهر الله سبحانه وتعالى ، وعلى ذلك فهى نور من نوره تعالى ، وهذه النفس إذا فارقت بدنها الذى كانت فيه فى الدنيا ، فإن كل الأشياء والمعارف تنكشف لها ، وبذلك تصبح شبيهة بالملكوت الأعلى ، بعالم النور ، وذلك لأن المانع لها من الاكتشاف هو تمسكها باللذات البدنية فى دنياها وهذا هو ما كان يعوقها من المعرفة الشريفة ، ومن الواجب عليها أن تديم النظر فى دنياها فى

حقائق الأشياء ، حتى تصير صافية معقولة ، حينئذ تظهر فيها الأشياء كما تظهر فى مرآة صقلية وتشعر بلذة كبيرة عند مفارقتها للبدن حيث تنتقل إلى عالم الربوبية ، مسكن الأنفس العقلية خلف السموات،ولكن لا بد للنفس أن تتدرج فى مراتب النقاء طوراً بعد طور، وتقيم فى كل مرتبة مدة تصفو فيها حتى تبلغ حالة الصفاء الخالص ، عندئذ تدخل العالم الإلهى حيث تعلم كل شىء(١)

إن هذه النفس إذا فارقت البدن مفارقة تامة ، كان علمها أكمل ، ولذتها أعظم ، وتصير بعد مفارقتها البدن فى عالم العقل فوق الفلك وصارت فى نور الله سبحانه وتعالى (ان مسكن الأنفس العقلية إذا تجردت هو-كما قالت الفلاسفة القدماء- خلف الفلك حيث نور البارى)(٢)

وهذه النفس خالدة لأن جوهرها جوهر إلهى روحانى ، وهى من نور البارى تعالى ومن جوهره(٣) ومن كان كذلك فإنه يكون خالداً لايقبل الفناء أصلا ، وإلا لكان الله سبحانه وتعالى يجوز عليه الفناء ، وهذا محال؛ لأن الله سبحانه وتعالى قديم أزلى أبدى ، وكل ذلك لذاته ، وما بالذات لايزول ولا يفنى ، وهو سبحانه وتعالى لايجوز عليه الفناء ، ولذلك فإن النفس لما كان جوهرها جوهراً الهيا روحانيا فإنها لايجوز عليها الفناء ، وبذلك تكون خالدة .

---

(١) انظر الرسائل الكندى جـ١ صـ ٢٧١ / ٢٧٢ تحقيق د/أبو ريدة ط القاهرة وانظر الله والعالم والإنسان فى الفكر الإسلامى / د : محمد جلال شرف صـ٣٤٢ دار المعارف

(٢) الكندى فيلسوف العرب د : محمد فؤاد الأهوانى صـ٢٥٢ - أعلام العرب ٢٦ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

(٣) انظر المرجع السابق صـ ٢٥١

ان النفس بسيطة ذات شرف وكمال عظيم الشأن ، جوهرها من جوهر البارى تعالى ، مثلها فى ذلك مثل ضياء الشمس من الشمس .

ان هذا الكلام لا يشمل كل الأنفس ، وإنما هو خاص بالنفس السعيدة فقط ، أما النفس التى تفارق بدنها وبها خبث ودنس ، فانها تصير الى فلك القمر ، حيث أنها ستقيم هناك وقتا ما ، حتى تتهذب وتنقى من خبثها ودنسها ، ثم تنتقل الى فلك عطارد ، ومن بعده تصعد الى الفلك الأعلى ، ومنه الى عالم العقل وراء فلك الفلك ، وبذلك تصير فى عالمها الذى هو عالم الربوبية(١) .

وبذلك تكون سعادة النفس السعيدة ولذتها الحقيقية أن تنعم فى عالم الربوبية باللذة الدائمة ، والتى هى تفوق كل ما كانت تعرفه من لذات بدنية حسية يعقبها الأذى ، أما لذتها الالهية فهى روحانية ملكوتية حيث أن النفس قريبة من خالقها ، قريبة من نوره ورحمته وتراه رؤية عقلية لا حسية .

وخلاصة كلام الكندى أنه يدعو النفس الى الزهد والتقشف فى الدنيا ، وتفضيل البحث عن حقائق الأشياء ، وأن تعلم النفس أنها فى دنياها عابرة سبيل الى حياة أخرى باقية دائمة ، والسعيد هو من يسعى إلى اللذة الخالدة حيث يعيش فى قرب من الأنوار الإلهية ، وينعم برؤية باريه ، إنه يجب على النفس أن تقبل على خيرات العقل الدائمة ، وعلى تقوى الله ، وأن تعكف على طلب العلم وصالح الأعمال ، لأنه يستحيل أن تطلب اللذات أو الخيرات الحسية معتقدة أنها قادرة على استبقائها ودوامها ، فالاستبقاء والدوام مستحيلان ، حيث أن الدنيا فانية ، وهناك حياة أخرى باقية دائمة بعد هذه الحياة الفانية الزائلة .

---

(١) انظر الكندى ص ٢٥٢